

قاصدة إلى حمل المادّة على أن تتعقّل بعقل العقل العاقل ، ولهذه الأسباب كانت منظومة دائرية مغلقة على نفسها، إذ هي فعل استقطابي ذو حركة جاذبة تتولد فيها الدوائر لتنصب في مركزها، وتتوحد في بؤرتها . أمّا الأصوليّة العربيّة فبتميزها المضموني وتفردّها التاريخي قد أنجبت بطبيعتها فلسفة في المناهج ونظرية في المعرفة، أي أنّها بذلك قد استحالت علما في الادراك، وما من شك أنّ ابن سينا (٣٧٠هـ-٤٢٨هـ) قد أحسّ إحساسا دقيقا بتكاتف المعارف وتحتّم إنصهارها في أصوليّة كليّة، وكأثما هو يبشر بميلادها قبل وضعها إذ يقول : « كلّ واحد من العلوم الجزئية وهي المتعلقة ببعض الأمور والموجودات يقتصر المتعلم فيه أن يسلم أصولا ومبادئ تتبرهن في غير علمه ، وتكون في علمه مستعملة على سبيل الأصول الموضوعية (...) فليس يمكننا في تعلم العلوم كلها أن نتحرّز عن مصادرة على مقدمات تشيّن في علوم أخرى ، فإن مبادئ العلوم وخصوصا الجزئية تتعرّف إمّا من علوم جزئية غيرها ، أو من العلم الكلي الذي يسمّى فلسفة أولى، فليس يمكن أن يبرهن على مبادئ العلوم من العلوم نفسها»<sup>(١)</sup>.

أمّا ابن جنّي فإنّه شديد الحيرة في أمر التباس العلم بأصوليّة العلم، وهو غيور على إبراز الفيصل المبدئيّ بينهما إذ كان بمنطقه النقديّ مرتابا حيال القدرة البسيطة التي تمكّن من عبور معادلات الدرّجة الأولى إلى المعادلات من الدرّجة الثانية، لذلك تراه يلح في ضرب من التيسير على تبصرة العقول بأمر هذا التفارق، فينزّل علمه الأصوليّ منزلتين: في الأولى هي منزلة الفكر النقديّ

(١) عيون الحكمة - ص ١٧ .